ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون . وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل شئ آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شئ مطية ومطية المؤمن العقل ولكل شئ
دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع وراعى العابدين العقل
ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب
عمارة وعمارة الاخرة العقل ولكل امرء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون اليه
ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين
الى الله من نصب في طاعة الله ونصح لعباده الله وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته
فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امره به ونهى عنه نظرا
وان كان اقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس قد اختلفوا
في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب
اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم
العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل
قسم واحد بالكشف عند الاول الوصف الذى يفارق الانسان ساير البهايم وهو الذى به استعد
لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى اراده الحارث المحاسبى حيث
قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك
الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنايم
يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحياة غريزة بها يتهيا الجسم
للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية
ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى بحكم اجراء العادات
يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحيوة و
يقال لا فرق الا ان الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا
ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فان لله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب
ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحيوة فهكذا مفارقة الانسان
للبهائم في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهي كالمرآة التي تفارق غيرها من
الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة
في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الرؤية
ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس
الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه الغريزة الثاني هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات
الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان
الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال في

حد العقل

حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في
نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال
لا موجود الا هذه العلوم الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال فان من
حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر
جاهل وهذا نوع اخر من العلوم يسمى عقلا الرابع ان ينتهي قوة تلك الغريزة الى ان تعرف عواقب
الامور وتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها
عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة
وهذا ايضا من خواص الانسان التي يتميز بها عن ساير الحيوان فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني
هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب
والرابع هو الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه
رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين
ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل وهو الاخير المراد
بقوله عليه السلام لعلي اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وادّ فرائض
الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب
والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل فسالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس
قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت
منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل
هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله
وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق
على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله
فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود
ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في
القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة
ولكن ظهر الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشيء وارد
عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر
القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان ما يساق اليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد
ولذلك قال الله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)